

نشاط النخبة الجزائرية في تونس ودورها في بناء الحركة الوطنية الجزائري

✍ الطالب: فاروق جياب
قسم التاريخ
جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان

ملخص باللغة العربية:

يتناول هذا المقال موضوع نشاط النخبة الجزائرية المثقفة في تونس ودورها في بناء الحركة الوطنية الجزائرية، وذلك من خلال التطرق إلى حركة الهجرة من الجزائر إلى تونس خاصة بعد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، وقد كانت في بدايتها الأولى في شكل هجرات جماعية للأسر الكبرى والمعروفة، ثم تلتها هجرات جديدة اقتصرت مدة إقامتها على طلب العلم والانتفاع من المعاهد التونسية، بالخصوص جامع الزيتونة وهي الفئة المعنية بالدراسة، ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بدأت تونس تحصد ثمار هذه الحركة، بحيث لم يقتصر دور الجزائريين المهاجرين على التعلم والتثقف فقط وإنما توسع حضورهم وتشعب، وامتد إلى المشاركة في مختلف أوجه النشاطات الوطنية والسياسية، والمساهمة في بعث وتأسيس أحزاب وطنية وإنشاء الصحف المعبرة عنها والحاملة لأفكارها، أضف إلى ذلك نشاط النخبة الجزائرية الحثيث في المجالات العلمية والفكرية والسياسية والأدبية وحتى النقابية، ولم يقتصر دور هؤلاء على تونس فقط بل امتد تأثيرهم ونشاطهم إلى المساهمة في بناء وتأسيس الحركة الوطنية الجزائرية، فقد كانت تونس هي المعبر الوحيد للأفكار الإصلاحية والقومية الآتية من المشرق العربي مثل فكر جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأفكار الحركة الوهابية كذلك.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، النخبة، الأحزاب السياسية، تونس، الجزائر، الحركة النقايبية، الحركة الوطنية، الصحافة، جامع الزيتونة، الجرائد، المجلات، الطلبة الجزائريين، الحماية، الاستعمار.

(2 باللغة الإنجليزية:

title: The activity of the Algerian elite in Tunisia and its role in the crystallization of the movement and the Algerian National.

summary of the article:

will be thro In this article well tackle the role Of the Algerian cultivated elite in Tunisia and of its Impact on the Algerian national movement. This ough touching on the Immigration movement from Algeria to Tunisia especially after the French campaign over Algeria in 1830.

At the beginning, it was only as collective immigrations of big famous families followed by new immigrations which were for the sake of science and taking advantage form Tunisian institutes, especially (zaytouna mosque) .

By the end of the 19th century and the beg inning the 20th century. Tunisia started to harvest the fruits of this movement, in a way that the role of the Algerian immigrants was not only limited to sieving for knowledge but their presence spread to the contribution to various national and political achy ties. And also create national parties as well as publishing newspapers which expressed them and held its ideas.

In addition to the Algerian elite activity literary and even syndicate magazines, the role of the formers was not only in Tunisia but their Impact spread to the contribution to the Algerian national movement. Tunisia was the unique crossing of the reformed and native ideas which come form the Arab orient like (djamel eddine el afgani) and the idea of the Islamic university and also the (wahabia) movement idea.

Key words: Immigration, Elite, poli tical parties, Tunisie, Alegria, syndicat mouvement, journalisme, national mouvement, zaytouna

مقدمة:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وانتهجه لسياسة التعسف الاستعماري الهادفة إلى القضاء على كيان ووجود الشعب الجزائري واجتثاث جذوره الحضارية العربية الإسلامية، أصبح الجزائريون بفعل عامل القهر والإرهاب يشدون الرحال جماعات وفرادى نحو مختلف أقطار الوطن العربي والإسلامي ومنها تونس البلد المجاور للجزائر، هربا بدينهم ولغتهم وحفاظا على ما تبقى لهم من مقومات أخلاقية.

وقد كانت البداية بالهجرات الجماعية للأسر الكبرى والمعروفة، ثم تلتها هجرات جديدة اقتصرت مدة إقامتها على طلب العلم والانتفاع من المعاهد التونسية، بالخصوص جامع الزيتونة الذي فتح باب المعرفة أمام الأجيال الجزائرية الناشئة، ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بدأت تونس تحصد ثمار هذه الحركة، بحيث لم يقتصر دور الجزائريين المهاجرين على التعلم فقط، وإنما توسع حضورهم وتشعب وامتد إلى المشاركة في مختلف أوجه النشاطات الوطنية والسياسية، والمساهمة في بعث وتأسيس أحزاب وطنية وإنشاء الصحف المعبرة عنها والحاملة لأفكارها، أضف إلى ذلك القيام بنشاط حثيثة في المجالات العلمية والفكرية والسياسية والأدبية وحتى النقابية، ولم يقتصر دور هؤلاء على تونس فقط بل امتد تأثيرهم ونشاطهم إلى المساهمة في بناء وتأسيس الحركة الوطنية الجزائرية، وانطلاقا مما سبق نطرح الإشكاليات التالية: أين تجلى تأثير النخبة الجزائرية على الحياة السياسية والأدبية والفكرية في تونس، ومن هي أهم الشخصيات المؤثرة، وكيف ساهمة في بناء الحركة الوطنية الجزائرية؟.

أولاً- دور النخبة الجزائرية في بلورة الفكر السياسي من خلال الهياكل والتنظيمات الطلابية :

كان للنخبة الجزائرية دور بارز في جمع شتات الطلبة الجزائريين وتوحيد صفوفهم والتقريب بين وجهات نظرهم، وذلك من خلال الهياكل والتنظيمات الطلابية التي أشرفوا على تأسيسها، حيث كانت إطارا لبلورة الفكر السياسي لدى الطلبة الجزائريين ثم إقحامهم في ساحة النضال ضد الاستعمار الفرنسي بالجزائر⁽¹⁾، وفي كلمة ألقاها البشير الإبراهيمي على جموع الطلبة الجزائريين مطلع الثلاثينات، أكد على ضرورة تكتيل الصفوف والتلاحم والخروج بقضية الجزائرية من طور السلبي إلى طور العمل المجدي، وتبصير الشعب التونسي وغيره من شعوب العالم العربي بعمق المسألة التي يعيشها الشعب الجزائري، كما حث الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على رص الصفوف ورفع أصوات الاحتجاج الصارم على الاستعمار الذي تسبب في عمق المسألة الجزائرية⁽²⁾.

ومن أبرز النخب الجزائرية في تونس الذين كان لهم دور بارز في تكوين المملكة الفكرية والوحدة لأدبية للطلبة الجزائريين، من خلا تكوين الجمعيات والنوادي، نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ الطيب بن عيسى⁽³⁾ الذي كان له دور بارز رفقة عثمان الكعاك⁽⁴⁾ في تأسيس (جمعية تلامذة الزيتونة) عام 1908⁽⁵⁾، والشيخ الشاذلي المكي والشيخ عبد الرحمن شيبان اللذين برز دورهما من خلال تأسيس وقيادة (جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين)⁽⁶⁾ والتي أعلن عنها عام 1934⁽⁷⁾، وقد كان لهذه الجمعيات دور بارز في جمع شتات الطلبة الجزائريين وتأهيلهم لمواجهة البدع والضلالات وإدارة المعركة المقبلة حين عودتهم إلى وطنهم⁽⁸⁾.

كان نشاط الطلبة الجزائريين في تونس في غالب الأحيان يجاوز حدود الجامع الأعظم ليكتسح الساحة السياسية العامة ضد سلطات الحماية الفرنسية⁽⁹⁾، وذلك بانتهاج مختلف الأساليب النقابية والسياسة، ونذكر بالخصوص نخبة الرعيل الأول أمثال حسن القلاطي وعلي باش حامية⁽¹⁰⁾ وعبد العزيز الثعالبي⁽¹¹⁾، والذين كان لهم السهم الأكبر في تأسيس منظمة الشباب التونسي وظهور جريدة "التونسي"⁽¹²⁾ الناطقة باسمهم عام 1907م، وقد أشرفت حركة الشباب التونسي على تنظيم عدة إضرابات ومظاهرات من أجل إطلاق سراح الطلبة التونسيين والجزائريين المنبذين

بالتجاوزات الاستعمارية، ونذكر على سبيل المثال إضراب 18 أبريل 1910م واعتصام 13 مايو 1910م⁽¹³⁾.

ورغم الممارسات القمعية إلا أن نشاط الطلبة الجزائريين المناهض والمندد بالسياسة الاستعمارية قد توجه نحو التصعيد، خاصة من خلال الإضرابات والمظاهرات والاعتصامات المتواصلة⁽¹⁴⁾، مثل مظاهرات 28 نوفمبر 1925م في العاصمة تونس احتجاجا على نصب تمثال الكاردينال لافيغري في قلب العاصمة، ونذكر كذلك إضراب 1933م احتجاجا على صدور قانون التجنيس في 08 ديسمبر 1928⁽¹⁵⁾، وقد توج نشاط الطلبة الجزائريين وتنسيقهم المستمر بعقد المؤتمر الأول لجمعية طلبة شمال إفريقيا بتونس في شهر أوت 1934م، وكان ذلك تزامنا مع الاحتفال الفرنسي بمئوية احتلال الجزائر وإنعقاد المؤتمر الأفخارستي بتونس، ومن أهم المطالب التي خرج بها المؤتمر ضرورة تأصيل الأبعاد الإسلامية والعربية في مناهج التعليم وفي مختلف لأطوار في كل دول شمال إفريقيا، وإصلاح التعليم في جامع الزيتونة والقرويين بعيدا عن ضغوطات الاحتلال الفرنسي⁽¹⁶⁾.

ثانيا- أهم ملامح تأثير النخبة الجزائرية على الحياة السياسية والفكرية في تونس:

ارتبط ازدهار النشاط السياسي والثقافي للنخبة الجزائرية بالمناح الخصب الذي وفرته تونس لهم، أين وجدت الفرصة مواتية لنشر أفكارها المنددة بالاستعمار والكاشفة عن جرائمه، ولم يقتصر تأثيرها الفكري على القطرين فقط بل امتد إلى مختلف مناطق المغرب العربي، فتطورت هذه الأفكار ونضجت لتصبح ذات بعد قومي مغاربي⁽¹⁷⁾. إن استطلاع الإنتاج الأدبي الذي خلفته النخبة الجزائرية بتونس يثبت توجهها نحو بعث العمل الوطني المشترك والذي كان له تأثير مباشر على وحدة الحركة الوطنية المغربية⁽¹⁸⁾، ومن هؤلاء الصحفيين نذكر منهم الصحفي الرائد عمر بن قدور⁽¹⁹⁾ الذي اشتهر من خلال مقالاته في جريدة التقدم، ونذكر على سبيل المثال مقاله المنشور في يوم 27 فيفري 1908م وكان بعنوان: "التقدم بقوة وطنية"، ذلك المصطلح الذي كان له دور في إحياء الوعي القومي والسياسي لدى

الشعبيين، وقد طور عمر بن قدير نشاطه من خلال تأسيس مجلة "الصاديق" والتي كانت منبرا للتصعيد ضد جميع ممارسات الاستعمارية الفرنسية⁽²⁰⁾.

كما تولى الطيب بن عيسى رئاسة تحرير صحيفة الوزير⁽²¹⁾ هذه الصحيفة كان لها دور بارز في نشر الأفكار القومية الوجودية المغاربية، حتى أن محمد السعيد الزاهري⁽²²⁾ كتب مقالا يثني فيه على جريدة الوزير بعنوان "الوحدة المغربية" قال فيه: (لقد أنشيت على الوزير إنها صحافة مغربية تهتم بسائر بلاد المغرب وتونس والجزائر ومراكش اهتماما يكاد يكون سواء... حتى إذا قرأتها لا تدرأهي بقلم تونسي أم جزائري أم مراكشي). لقد كان الكاتب والمفكر الجزائري محمد سعيد الزاهري يرى بأن النضال السليم هو النضال الذي يقوم على وحدة المغرب العربي، لأن تاريخ المغرب واحد ومتصل تمام لاتصال بعضه ببعض فلا يقوم تاريخ تونس مثلا بدون تاريخ الجزائر ومراكش إلا كما يقوم عضو من أعضاء الإنسان⁽²³⁾.

تبنى الجزائريون أفكارا متنوعة، وكان من أبرزها فكرة الجامعة الإسلامية والتي كان الشيخ عبد العزيز الثعالبي من أبرز المدافعين عنها باعتبارها الجامع الوحيد للمسلمين، كما ثمن الشيخ الثعالبي مشروع إحياء الأمة العربية بعد أن رفض يده من الأتراك بزوال الدولة العثمانية وقيام النظام الجمهوري بها سنة 1923م، ودافع الثعالبي عن الوحدة المغربية وعن كل ما يمت إليها من أفكار وطنية حيث قال: (الوطنان كالوطن واحد والمصلحتان مصلحة واحدة لا فرق في ذلك ولا اعتبار)، كما ساهم المثقفون الجزائريون في الحياة الفكرية والأدبية بنشر العديد من المواضيع الأدبية والقصائد السياسية في الجرائد التونسية المختلفة ونذكر منهم: (إبراهيم بن الحاج عيسى في ديوان مرآة الحياة، ومحمد العيد آل خليفة في ديوان إحياء الأدب)⁽²⁴⁾.

وقد اشترك الجزائريون في تحرير العديد من المقالات في الصحف والدوريات التونسية منذ مطلع القرن العشرين إلى غاية استقلال الجزائر منها: التقدم 1906م، مرشد الأمة 1906م، المنير 1907م، المشير 1911م، العصر الجديد 1920م، النهضة 1924م، العالم الأدبي 1929م، البوق والزيتونة 1936م، صبره والمباحث 1937م، العمل 1934م، الأسبوع 1945م، الصباح 1950... وغيرها من الصحف الأخرى، ولم

يكتفي الجزائريون بنشر مقالاتهم فقط، بل دعموا الجرائد التونسية ماديا ومعنويا
(25)

ثالثا- دور النخبة الجزائرية في بناء الحركة الوطنية التونسية:

ساهمت النخبة الجزائرية المثقفة جنبا إلى جنب مع النخبة التونسية في بناء الحركة الوطنية داخل تونس، وذلك منذ الوهلة الأولى من إخضاعها للحماية الفرنسية، كما هو الحال بالنسبة للشيخ عبد العزيز الثعالبي، الذي انضم إلى الحزب الوطني الإسلامي عام 1895م، ثم حزب الأحرار عام 1906م، ولكن هذه الأحزاب كانت ضعيفة التكوين والتنظيم من حيث البرامج السياسية، ولهذا لم تستطع الصمود طويلا أمام السياسة الاستعمارية الفرنسية. وفي عام 1908م أسس الشيخ العبد العزيز الثعالبي "حزب التونسي"، ولكن جمد نشاطه سنة 1911م، بسبب قيام الحرب العالمية الأولى وتطبيق قانون حل الأحزاب وتجميد نشاطها السياسي بعد أحداث مقبرة الزلاج في نوفمبر 1911⁽²⁶⁾.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى وانطلاقا من سنة 1920م، بدأت مرحلة جديدة من النضال السياسي بتأسيس الحزب الحر الدستوري الذي لعب عبد العزيز الثعالبي وأحمد توفيق المدني دورا أساسيا في تكوينه وفي التنسيق بين النخب السياسية، وضم في هيئته ثلة من التونسيين والجزائريين، وإذا ما استعرضنا أسماء الزعماء البارزين في هذا الحزب منذ نشأته نجد أن عدد الجزائريين الذين دخلوا لجنته المركزية قد فاق في بعض الأحيان عدد التونسيين، فمنهم من كان جزائري المولد والجنسية أمثال الشيخ إبراهيم أطفيش⁽²⁷⁾، والشيخ الصالح بن يحيى، وإبراهيم بن الحاج عيسى، ومنهم من كان أصله جزائريا استقر منذ فترة بتونس، أمثال أحمد توفيق المدني، عبد الرحمن اليعلاوي، الطيب بن عيسى، العيد الجباري، حسين الجزائري... كما تلقى هذا الحزب دعم ماديا معتبرا من قواعده النضالية في الجزائر، وعلى سبيل المثال تلقى الحزب مساهمة مالية قدرت بحوالي 174000 فرنك فرنسي جمعها بن يحيى وتم تقديمها للثعالبي⁽²⁸⁾.

ويمكن إبراز بعض مساهمات الجزائريين من خلال هاته المحطات الهامة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية:

أ- تجنيد الشعب التونسي لدعم المقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالي (1911م): فبعد سقوط مدينة طرابلس في يد لاحتلال الايطالي في يوم 29 سبتمبر 1911م، لاقت المقاومة داخل ليبيا دعما ماديا وأديبا من النخبة الجزائرية في تونس⁽²⁹⁾، ومن هؤلاء نذكر أحمد توفيق المدني الذي كان يطوف الأسواق محرّضا للتونسيين على الجهاد وجمع التبرعات المالية رفقة مساعديه المنجي البزرتي ومحمد النيفر، كما تولت جريدتي "الاتحاد الإسلامي والحاضرة" مهمة نشر المقالات الداعمة لروح المقاومة التي كان على رأسها الثعالبي وعلي باش حامبة، ونذكر كذلك دور جماعة الشباب التونسي المتكونة من التونسيين والجزائريين ومن أبرزهم: (حسن القلاطي، محمد النعمان، علي باش حامبة، عبد العزيز الثعالبي)⁽³⁰⁾.

ب- المساهمة في تأجيج انتفاضتي الزلاّج والترامواي (1911- 1912): تعود أسباب انتفاضة الزلاّج 1911م إلى رفض التونسيين دفن موتى المسيحيين إلى جانب موتى المسلمين في مقبرة الزلاّج، حيث اعتبروه تدنيسا لمقدساتهم، تلك الحوادث عرفت مشاركة واسعة من طرف المثقفين الجزائريين أمثال أحمد توفيق المدني، وحسن القلاطي، وعبد العزيز الثعالبي، وفي هذا السياق تحدث أحمد توفيق المدني في مذكراته عن دوره في تأجيج هذه الأحداث دفاعا عن هذه الأرض قائلا: (وكنت من بين الذين يطوفون في الأسواق والمقاهي، أنادي بأعلى صوتي نموت ولا نسلم زلّاجنا)⁽³¹⁾، أما عبد العزيز الثعالبي فكان من العناصر المحرّضة والمحرّكة لأحداث الترامواي 1912م⁽³²⁾، فقام بحركة تحسيسية رفقة معاونيه وذلك بالاتصال بالأهالي في المنازل والأحياء الشعبية، والحركة العمالية قصد مقاطعة ركوب الترامواي⁽³³⁾.

ج- تأسيس لجنة استقلال الجزائر وتونس (1916): تأسست هذه اللجنة بتاريخ 07 جانفي 1916م، من طرف مجموعة من الشبان الجزائريين والتونسيين برئاسة الشيخ الصالح الشريف، وإسماعيل الصفائحي، ومحمد زيان التلمساني، وكانت مهمتها تتمثل في تحرير المنشورات والكتابات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي، وأثناء الحرب العالمية الأولى ساندت هذه اللجنة الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا، وأسست جريدة "المغرب

العربي" والتي روجت من خلالها لوحدة النضال الشمال الإفريقي عامة ودول المغرب العربي خاصة⁽³⁴⁾.

ولكن عند نهاية الحرب وانهزام الدولة العثمانية وحلفائها وجدت هذه اللجنة نفسها أمام حتمية تغيير سياستها والتوجه نحو تقديم مذكرة إلى مؤتمر الصلح الذي انعقد في جانفي 1919م، حيث نددت من خلالها بنظام الاستبداد والعنف الفرنسي المفروض على الشعبين الجزائري والتونسي، وطالبة بحق تقرير المصير بالنسبة للبلدين، كما أرسلت وثيقة أخرى إلى الرئيس الأمريكي ويلسون في جانفي 1919م، ونددت فيها اللجنة مرة أخرى بالسياسة الفرنسية في البلدين، وطالبت بإيفاد مبعوثين شرعيين للتحقيق في ممارسات الاستعمار الفرنسي والدفاع عنهم وفق مبادئ مؤتمر الصلح وأولها حق الشعوب في تقرير مصيرها⁽³⁵⁾.

رابعا- دور النخبة الجزائرية المثقفة بتونس في تبلور الحركة الوطنية الجزائرية:

تميز النشاط الذي اضطلعت به النخبة الجزائرية في تونس منذ مطلع القرن العشرين وحتى الاستقلال في جل مراحلها بالحيوية والاندفاع والاستمرارية، وقد وجد الجزائريون في المقالات التي وضعها الكاتبان عمر بن قدير وعمر راسم منطلقا مكيئا للاندفاع نحو بلورة هذا النشاط الوطني في أساليب جديدة وأكثر جدية، وقد وجدت النخبة الجزائرية المهاجرة بتونس في الحركة الوطنية التونسية ممثلة في الحزب الدستوري التونسي فضاء خصبا لنشر أفكارها الراديكالية، كما كان للجزائريين الدور البارز في إخراج هذا الحزب من نطاقه القطري إلى النطاق المغاربي، فأصبحت أبوابه مفتوحة أمام أبناء المغرب الكبير الذي يزرع تحت استعمار واحد⁽³⁶⁾.

ولكن الاستعمار تفتن لهذه الغايات، فضرب بقسوة العناصر الجزائرية التي تسربت داخل خلايا وإدارات الحزب، ومن أهم الحلول التي لجأ إليها هي نفي الجزائريين بحجة إعادتهم إلى أوطانهم، وذلك من أجل إفراغ الحزب من محتواه المغاربي، ولكن الأمر الذي غاب عن سلطات الحماية الفرنسية بتونس هو أنها ستساهم في إشعال جذوة المقاومة والصمود في الجزائر، وذلك من خلال عودة أبنائها إليها حاملين معهم

خبرة سنوات طويلة من النضال السياسي، فساهموا بنصيب وافر من فكرهم وجهادهم في تثوير التوجه السياسي للحركة الوطنية الجزائرية⁽³⁷⁾.

لقد بذل الكتاب الجزائريون في تونس جهودا مضنية للتعريف بواقع الشعب الجزائري المتطلع إلى الحرية والمعتز بالانتماء إلى العروبة والإسلام، بحيث شددوا بأقلامهم على صفحات الجرائد التونسية الخناق على السلطات الفرنسية، وأخرجوها بكتاباتهم المثيرة، وكشف المواضيع التي تتستر عنها أمام الرأي العام العربي والإسلامي، ومن هذه القضايا قضية التجنيد الإجباري 1912، والتي تصد لها الصحفي وال كاتب عمر بن قدير بفضحها وانتقادها وتحريض الجزائريين على التمرد ضدها، من خلال صفحات جريدة "الإقدام" و"التقدم" و"المشير"⁽³⁸⁾، كما تولت الأقلام الجزائرية مهمة نشر الوعي الوطني في الجزائر من خلال التصدي لغلاة المعمرين ومن يوالهم من الخونة، ومناقشة وفضح آرائهم ونفاقهم أمام الرأي العام الذي أجبر على سماع وجهة النظر الواحدة⁽³⁹⁾، وذلك بكشف زيف وخداع القوانين الوضعية الفرنسية المطبقة في الجزائر، التي طالما تغنت من خلالها فرنسا بحقوق الإنسان والحرية والمساواة والأخوة، ولكن ما كانت في الحقيقة إلى وسيلة لإرضاء جموح الجماعات المتسلطة من غلاة الاستعمار⁽⁴⁰⁾.

لاقت المقالات الصحفية المنددة بالسياسة الاستعمارية في الجزائر رواجاً واسعاً في الجزائر حتى أن الشيخ عبد الحميد بن سمايا ممثل أعيان الجزائر قد تأثر بهذا الطرح، وعارض في اجتماع المجلس البلدي المنعقد يوم 25 جويلية 1911 في العاصمة مشروع التجنيد الإجباري، وسانده في رأيه مفتي الجزائر الحنفي محمد أبو قندوزة، كما وجه عمر بن قدير انتقاداً حاداً إلى عمر بوضربة عضو المجلس البلدي الذي تطوع لتزكية آراء المعمرين ومتحدياً مشاعر مواطنيه الذين كان لهم الفضل في انتخابه، حيث قال له في أحد مقالاته: (قف أيها الخطيب لقد تجاوزت الحد وسلخت الأمة، ألم تتذكر في موقفك هذا فضل الشعب عليك وثقته بك...حتى أنك ألقيت وراء ظهرك حقوقه)، كما خاطب كل المتفرنسين ناصحاً إياهم بعدم المتاجرة بمصير الأمة بقوله: (قفوا أيها المتفرنجون عند حدودكم، ودعوا الله لأهله، فإنكم لستم في العير ولا في النفير...فإن للأمة أنصاراً في الباطن والظاهر، متمسكين بعروة الله الوثقى)⁽⁴¹⁾.

كما شكل إبعاد أحمد توفيق المدني إلى الجزائر خلال سنة 1925م، جسرا جديدا من جسور التبادل الفكري والثقافي بين المثقفين التونسيين والجزائريين، حيث ساهم المدني في تنظيم العديد من الزيارات لرواد الحركة الوطنية التونسية إلى الجزائر، وفي مقدمتهم: الشاذلي خزندار⁽⁴²⁾ والناصر الصدام والأديب إبراهيم الراجح، وقد كانت الكثير من الصحف الجزائرية تعترض على هذه الزيارات وتعطيها بعدا سياسيا وطنيا، ورغم الضغوطات الفرنسية والممارسات التعسفية لم يرضى المدني بالأمر الواقع ولم يرضخ لإرادة الاستعمار، فتميز بانتقاداته اللاذعة للإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، وذلك من خلال كتاباته في الصحف الجزائرية وقيادته لنادي الترقى، ويقول الحسن القلاطي⁽⁴³⁾ عن دور أحمد توفيق المدني في الجزائر: (أصبح حركة هناك وبركة، لأن العناصر الحية تنشر الحياة حيثما حلت، وكان باكورة ما ظهر في الجزائر بعد استقراره بنادي الترقى العتيد الذي جمع العناصر الجزائرية)⁽⁴⁴⁾.

ونجد كذلك من الجزائريين المبعدين من تونس إلى الجزائر الشيخ عبد الرحمن اليعلاوي، فكان له دور بارز في مد يد العون إلى جمعية العلماء المسلمين من خلال مساهمته في جريدة "الشهاب"⁽⁴⁵⁾، كما نجد رسائل أبي اليقظان⁽⁴⁶⁾ والتي اتخذت الطابع السياسي وأولت اهتماما واسعا للقضايا الجزائرية مخاطبا الرأي العام الجزائري، خاصة من خلال الصحافة التونسية مثل "المنير"⁽⁴⁷⁾ حيث يقول في أحد رسائله: (ما جناية هذا الشعب المسكين حتى استحق هذا الاستخفاف والازدراء دون بقية الشعوب. هل جنايته كونه شعبا مسلما جزائريا معتدلا ساكنا تحت راية الإخاء والمساواة يحاول قراءة ما يكتبه أخوه دينا ولغة وإقليما وجنسا)، إن تنديد أبي اليقظان بالجهل والخيانة وباستبداد الاستعمار الفرنسي دفع بالسيد (إيبل) إلى إصدار قرار يمنع رواج الصحافة التونسية، والتي كانت تمثل المدد الروحي الوحيد الذي يتغذى منه القراء في الجزائر، وقد بلغت الحالة في بعض مناطق الجنوب الجزائري إلى أن صارت الجرائد التونسية فيها كالمواد الحربية الممنوعة⁽⁴⁸⁾.

ونذكر كذلك بن العربي⁽⁴⁹⁾ أصيل مدينة (تهرت) فكان شاعرا وقصاصا وأديبا وبرز نشاطه الفكري والأدبي من خلا جريدتي "صبرة، والزمان" ومجلة "المباحث"، لقد كان وطنيا متحررا من جميع الميول والالتزامات الحزبية فكان يرى أن التحرير لا يكون إلا بهز المجتمع وزعزعته، ولم يقتصر دوره على التعريف بالقضية الجزائرية بل

كان يحتفي بها في كل مناسبة، إذ درج على توقيع مقالاته باسم (ابن تومرت)، وقد ورث مفدي زكريا التوقيع بهذا الاسم بعد وفاة بن العريبي وورث عنه اتجاهه الوطني الصريح والمخلص، وفي هذا السياق نذكر كذلك دور الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي⁽⁵⁰⁾ ومحمد العيد الخليفة⁽⁵¹⁾ والشاعر عبد الله شريط خريجي الزيتونة والأمثلة هي كثيرة ومتعددة⁽⁵²⁾.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن القول أنه رغم مساهمة النخبة الجزائرية في الحياة الفكرية والثقافية وحتى الدينية في تونس إلا أن الحركة الوطنية التونسية هي كذلك ساهمت في إعداد هذه النخبة إعدادا سياسيا وثوريا، وعبأت نفوسهم بالحماس والنخوة وخاصة مع اندلاع الثورة التونسية سنة 1952م، فتأهبوا لاستقبال غرة أول نوفمبر 1954م، وهم على أتم الاستعداد للالتحام بثورتهم على المستويين العلمي والنظري، فالتحق بعضهم بصفوف جيش التحرير وحملوا السلاح، بينما بقي البعض الآخر يواصل الدراسة ويضطلع بمهام إعلامية وسياسية للتعريف بالثورة وتجنيد الرأي العام لمؤازرتها والتضامن معها، وبعد تحقيق الاستقلال ساهمت النخبة الجزائرية في رسم المستقبل الفكري والحضاري للجزائر، وعلاقتها الدولية والإنسانية.

الهوامش:

(1) - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)،

ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص ص 48، 49.

(2) - نفسه، ص 44.

(3) - الطيب بن عيسى: (1885-1965) من أصل جزائري، درس بالزيتونة، وساهم منذ نشأته المبكرة في تحرير عدد من الصحف من بينها (الرشدية) و(الصواب) التونسيين و(الفاوق) الجزائرية ثم أسس في سنة 1911 جريدة (المشير) والتي حولها إلى (الوزير) سنة 1920. صالح الجابري، المرجع السابق، ص 160.

(4) - عثمان الكعاك: (1903-1976) من أبرز رجالات الفكر في المغرب العربي، درس بالصادقية وباريس حيث تخرج سنة 1927، وقد عرف كموسوعي بذاكرته العجيبة وإتقانه لعدد من اللغات، ومساهماته المتعددة في الصحف والمجلات العربية ولأجنبية، له العديد من المؤلفات منها: (بلاغة العرب، الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط). محمد الصالح الجابري، المرجع السابق، ص 204.

(5) - محمد ضيف الله، المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات

والسبعينات، ط 1، مكتبة علاء الدين، تونس، 2003، ص 23.

(6) - جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين: تأسست هذه الجمعية سنة 1943 بتحريض من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتولت هذه الجمعية مهمة جمع شتات الطلبة الجزائريين في تونس وتوحيد كلمتهم وإسماع صوتهم، كما كان لها دور بارز في الحركة الوطنية الجزائرية وفي الإعداد للثورة التحريرية الجزائرية إلى سنة 1957م، حيث تم دمجها من طرف جبهة التحرير تحت لواء الإتحاد العام للطلبة الجزائريين. العفاني سيد بن حسين، زهرة البساتين من مواقف العلماء الريانيين، ج 5، دار العفاني، مصر، 1988م، ص 342.

(7) - أحمد خالد، عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، ط 1، مطبعة دار العلامات العربية، تونس، 2001، ص 23.

(8) - محمد الصالح الجابري، المرجع السابق، ص 104، 105.

(9) - مجلة الثمرة الثانية، ص 11، 1937.

(10) - علي باش حامبة: ولد عام 1875 بتونس من عائلة جزائرية عريقة، درس في الصادقية، وتنقل إلى باريس حيث تحصل على شهادة ليسانس في حقوق، يعتبر من مؤسسي جمعية قداماء الصادقية، مارس النشاط السياسي فأصبح قائدا لحركة الشبان التونسيين سنة 1906، وأسس جريدة التونسي رفقة عبد العزيز الثعالبي 1907/1911. نفي عام 1912 إلى اسطنبول، وتوفي عام 1918. محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (رسالة ماجستير)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993/1994م، ص 13.

(11) - عبد العزيز الثعالبي (1876-1944): هو أبرز الشخصيات الاسلامية التي جمعت بين العلم والنضال السياسي ضد الكيان الاستعماري، ولد في مدينة تونس يوم 05 سبتمبر 1876، من عائلة جزائرية عريقة معروفة بالعلم، وتلقى عبد العزيز الثعالبي تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، ثم التحق بجامعة الزيتونة وتابع بعد ذلك دراسته العليا بالمدرسة الخلدونية. انظم الثعالبي منذ شبابه

إلى حزب تحرير تونس أين استهل نضاله ضد سلطات الحماية في تونس، ثم أنشأ الحزب الوطني الإسلامي والذي كان يدعو إلى تحرير الوطن العربي، كما أسس الحزب الحر الدستوري التونسي، وبعد تشديد الخناق عليه قرر الثعالبي الخروج من تونس ليباشّر نضاله في المشرق العربي وأوروبا لحشد أكبر قدر من الدعم لصالح القضية التونسية. وفي عام 1937 عاد الثعالبي إلى تونس فوجد جيل الشباب من الدستوريين على رأسهم الحبيب بورقيبة قد سيطروا على الحزب فهمش دوره السياسي، وابتعد عن ساحة السياسة وتفرغ للكتابة في الصحف والتأليف. له العديد من المؤلفات أبرزها كتاب تونس الشهيدة، توفي الثعالبي سنة 1944م بعد مشوار طويل حافل بالكفاح. خالد الكركي، مشاعل عربية على دروب التنوير، ط1، دار الفكر العربي، عمان، الأردن، 2009، ص 119.

(12) - جريدة التونسي: جريدة أسبوعية تونسية تأسست عام 1909م من طرف علي باش حامبة و عبد العزيز الثعالبي، تناولت صحيفة مواضيع متنوعة ومن أشهر محرريها إلى جانب الثعالبي وباش حامبة نذكر حسن القلاطي وعبد الجليل الزواش. محمد حمدان. مدخل إلى تاريخ الصحافة في تونس (1838-1988)، منشورات معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، 2008، ص ص 86، 87.

(13) - المختار العياشي، البيئة الزيتونية (1910-1945)، ترجمة، حماد الساحلي، تونس، 1990، ص143.

(14) - حسين بن محمد الجزائري (1894-1974): ينحدر من عائلة تركية من أزمير هاجرت إلى الجزائر، وبعد الاحتلال الفرنسي 1830 هاجرت العائلة إلى تونس واستقرت بحي الحلفاويين بالعاصمة التونسية. درس في الكتاتيب وفي الزاوية البكرية ثم جامع الزيتونة، ثم تحول عام 1912 إلى الكاف ليشغل كاتب وكيل سجن مدة 44 شهر، ثم موظف عام 1957م، وافته المنية عام 1975م. بن فضلة الحبيب، مقامات حسين الجزائري، ط1، تونس، شركة أوريبس للطباعة والنشر، 1988م، ص13-16.

(15) - عليّة عميرة الصغير، تونس الأمس وتونس الغد، ط1، مطبعة بيت الحكمة، تونس، 2001، ص203.

(16) - محمد ضيف الله، المرجع السابق، ص 17، 18.

(17) - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 161.

(18) - أحمد خالد، المرجع السابق، ص 54.

(19) - عمر بن قدور (1886-1932): مصلح وصحفي جزائري من دعاة الوحدة المغربية، ساهم بقلمه في عدة صحف مغربية ومشرقية، منها صحيفة جريدة الفاروق 1913. بلقاسم محمد، المرجع السابق، ص 24.

(20) - خرفي الصالح، المرجع السابق، ص 15.

(21) - جريدة الوزير (1920): هي جريدة تونسية أصدرها الطبيب بن عيسى في 05 أفريل 1920، لتعوض جريدته الأولى "المشير"، اتبعت في بداية تأسيسها تيار النخبة التقليدية في الحزب الدستوري القديم، ولكن سرعان ما ساندت الحزب الحر الدستوري الجديد منذ تأسيسه 1934، تم توقيف إصدار جريدة الوزير في العديد من المناسبات بسبب موقفها من سلطات الحماية الفرنسية في تونس، وصدر آخر عدد منها في 26 جانفي 1956. محمد حمدان، مدخل إلى تاريخ الصحافة في تونس، منشورات معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، 2008م، ص 183.

(22) - محمد السعيد الزاهري (1900-1956): ولد بمدينة بسكرة، تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، ثم درس بالزيتونة، وحصل على شهادة التطويق سنة 1924، شارك في الحركة الإصلاحية بمقالاته في عدد من صحف جمعية العلماء، محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 189.

(23) - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 242.

(24) - Mohamed Salah Lejri, 'Evolution du Mouvement National', Ed. Maison Tunisienne, 1974, p.126.

(25) - محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر في تونس، ط 1، بيروت لبنان، دار الجليل للطباعة والنشر، 2005، ص 15.

(26) - عبد الله إبراهيم، شروق وغروب أو نافذة على تاريخ النضال الوطني، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، دت، ص 9.

(27) - إبراهيم أطفيش: (1886-1965) ولد ببلدة بني يزقن بالجنوب الجزائري، درس بالزيتونة بداية من سنة 1917 وانخرط في الحزب الدستوري، ثم أبعد عن تونس في شهر فيفري 1923 نظرا لنشاطه السياسي المناهض للاستعمار فأقام بالقاهرة إلى أن توفي. خير الدين الزركلي، قاموس التراجم، ج 1، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص 73.

(28) - محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المرجع السابق، ص 275.

(29) - أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1894، ص 11.

(30) - أحمد توفيق المدني، حيات كفاح (مذكرات)، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 36-

38.

(31) - نفسه، ص 43.

(32)- وكان السبب المباشر لاندلاع هذه الأحداث هو دهس أحد سائقي الترامواي الايطاليين لشاب تونسي فأودى بحياته، فأعلنت المقاطعة لهذه الشركة في اليوم الموالي من الحادث من طرف العمال التونسيين، ودامت هذه المقاطعة مدة شهر كامل مما استدعى استنجد الشركة الايطالية بالسلطة الفرنسية. وانتهى هذا التدخل بمواجهات دامية مع المحتجين، كما أقدمت سلطات الحماية الفرنسية على نفي الثعالي إلى فرنسا، وحسن القلاطي إلى الجزائر، وعلي باش حامية إلى تركيا، وغيرهم ابعدها إلى الجنوب أمثال محمد بن نعمان والصادق الزمري درغو، كما تم سجن مختار كاهية. محمد صالح الجابري المرجع السابق، ص 44.

(33)- ANT، pour la section d'Etat direction de la Sureté publique، DOS: 16، DN: 16-6.

(34) - أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية، الطاهر حداد ونضال جيل، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص3، 4.

(35) - علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)، ترجمة، عبد الحميد الشلبي، ط1، شركة ارايبسك للطباعة، مصر، 1999، ص218.

(36) - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص173.

(37) - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص156.

(38) - المشير: جريدة عربية تونسية تأسست في 10 جانفي 1911، صاحب امتيازها الشيخ الطيب بن عيسا، كانت تصدر بشارع باب السويقة بتونس العاصمة، وتوزع على السلطات العمومية، تتناول الجرية عدة مواضيع مثل الأحوال الإسلامية، الأحوال المحلية، الأحوال الثقافية، الفكاهات الحكمية، المراسلات الإصلاحية، التراجم... الإعلانات العمومية، جريدة المشير العدد 01، 1911/01/10.

(39) - جريدة المشير 28 ماي 1911.

(40) - جريدة التقدم، 23 أفريل 1908.

(41) - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، 195.

(42) - الشاذلي حزندار (1881-1954): شاعر تونسي لواحدة من أسر المماليك، ولد بالبلاط التونسي وتولى فيه عدة مهام، ولكنه استقال بعد ذلك واختار صف المعرضة، يعتبر خزندار من أبرز المجددين في الشعر التونسي، فوجه شعره لتغذية روح الشعب من أجل الالتفاف حول الحركة الوطنية، له

ديوان مطبوع تحت اسم "حياة شعب وأطواره". محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2000م، ص 573.

(43) - حسن القلاطي: من مواليد قصر البخاري بالجزائر، هاجرت عائلته إلى تونس بعد احتلالها من طرف فرنسا ثم عاد إلى الجزائر لدراسة الحقوق بجامعة الجزائر، وفي مطلع القرن العشرين. ساهم مع علي باش حامبة في تأسيس تجمع (تونس الفتاة) وجريدة (التونسي)، وبسبب ذلك أبعدها إلى الجزائر عام 1912م، ولما عاد منها اختلف مع الحزب الدستوري وأنشأ (الحزب الإصلاحي)، وأصدر جريدة (البرهان)، وحين لم تتحقق مطامحه في الزعامة انطوى على نفسه، وعدل عن العمل السياسي. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1958م، ص 73.

(44) - جريدة الزمان، 19 ديسمبر 1931.

(45) - جريدة لسان الشعب، 02 ماي 1928.

(46) - إبراهيم بن عيسى (أبو اليقضان) (1888-1973): إبراهيم بن عيسى حمدي، والمعروف بلقب أبو اليقضان في كتاباته الصحفية، صحفي وفتية وأديب وشاعر ومؤرخ جزائري، ولد بمدينة لقرارة ولاية غرداية يوم 05 نوفمبر 1888م، تعلم العربية والعلوم الشرعية بمسقط رأسه كما حفظ القرآن هناك، ثم سافر إلى تونس ليكمل دراسته بجامعة الزيتونة سنة 1912م، انضم إلى الحزب الدستوري التونسي سنة 1920م، وفي سنة 1926م أصدر أول جريدة له تحت اسم "وادي ميزاب"، كما أصدر العديد من الجرائد ما بين سنتي 1926-1938م مثل (المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان)، وفي سنة 1931 انضم إلى جمعية العلماء المسلمين وأسس المطبعة العربية في الجزائر خلال نفس السنة، توفي بمسقط رأسه سنة 1973. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1976م، ص ص 156، 157.

(47) - جريدة المنير، 14 أكتوبر 1920 و29 جانفي 1921

(48) - جريدة المنير، 11 فيفري 1912.

(49) - محمد لعربي: ولد في 1 مارس 1915 بتونس هو جزائري أصيل مدينة تهرت، درس في المدارس الفرنسية ثم الزيتونة، اشتغل في الصحافة، وتوفي في 24 ديسمبر 1946، ترأس تحرير جريدة صبرة، والزمان سنة 1940، كما ساهم في تحرير العديد من الجرائد منها (الزهرة والبوق والسردوك). محمد محمود، أعلام الإعلام في تونس (1860-1956)، ط1، تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1991، ص 212.

(50) - محمد الأخضر السائحي: ولد سنة 1918 بالعلية بالجزائر-تقرت- درس بالقرارة، ثم جامع الزيتونة بتونس 1934، ساهم في الكتابة الصحفية التونسية ومن دواوينه، همسات وصرخات، جمر وخمر. محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 17.

(51) - محمد العيد آل خليفة: (1904-1979) ولد بعين البيضاء الجزائر، درس بواد سوف ثم انتقل إلى جامع الزيتونة، فهو شاعر الثورة وأصدر ديوانه عام 1967. محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 17.

(52) - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، المرجع السابق، ص 326-328.